كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

مقياس مدخل الي أنثروبولوجيا

سنة أولي علوم اجتماعية

مفهوم الأنثروبولوجيا:

كلمة انثروبولوجيا مشتقة من كلمتين يونانيتين هما: انثرو بوس(Anthvo pos) ، ومعنا الإنسان ولوغوس (Logos)ومعناها الكلمة أو الموضوع أو الدراسة وبهذا يكون معنا انثروبولوجيا هو دراسة الإنسان، أو علم الإنسان .

رواخ (Rouch) عالم نفس ألماني أول من استخدم مصطلح أنثروبولوجيا Anthropology عام 1841م، كمفهوم فلسفي يتصل بدراسة النفس الإنسانية، ثم نقل هذا المصطلح في التركيز على دراسة السلالات البشرية، وقد أعطاه المعنى التالي:

هو: دراسة المؤثرات الخارجية التي يخضع لها، العقل الإنساني، والتغيرات التي تتم بمقتضى تلك المؤشرات .

ويرى العالم الأمريكي فرانز بوأس بأنه علم يدرس الإنسان باعتباره كائناً اجتماعيا حيث يتم دراسة ظواهر الحياة الاجتماعية والإنسانية دون تحديد زماني أو مكاني .

يتضح من ذلك أن موضوع هذا العلم هو الإنسان، فالإنسان هو المحور الأساسي وهو الذي يحدد موضوعات هذا العلم بصرف النظر عن الزمان والمكان .

كان في بدايته يركز على دراسة الإنسان وأسلافه الأوائل وأصوله منذ أقدم فترات التاريخ بلد وما قبل التاريخ وفي كل بقاع العالم وذلك من خلال الحفريات والآثار .

في البداية اهتم هذا العلم بدراسة المجتمعات البدائية، حيث يرى بعض الأنثروبولوجيين أن ما يميز هذا العلم عن العلوم الأخرى، كعلم الأجتماع والأقتصاد و السياسة والتاريخ وعلم النفس والجغرافيا هو تركيزه على المجتمعات البشرية البدائية. غير أن هذا الرأي لم يعد مقبولاً في الوقت الراهن حيث شمل المجتمعات غير البدائية، كالقروية والبدو الرحل، والمجتمعات المتمدنين كالمجتمع الأمريكي والروسي والصين...، وشمل كذلك دراسة عمليات الشرائح و الاندماج بين الحضارات...إلخ .

برغم أن الإنسان يدرس من قبل علوم أخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وعلم التشريح والجغرافيا البشرية والسياسية وعلم الاقتصاد، وعلم الأديان، إلا أن علم الأنثروبولوجيا ينفرد بخصائص منهجية في

دراسة الإنسان، يتحدد من خلالها سمات هذا العلم، عن بقية العلوم الأخرى ومن أهم هذه الخصائص ما يلي :

علم الأنثروبولوجيا يدرس المجتمع ككل دون التركيز على جانب محدد بذاته. وبذلك فهو يستخدم المنهج الكلي في الدراسة (holistic mithod) فهو يدرس المجتمع من عقائده، وشعائره، واقتصاده، وسياسته...إلخ .

يستخدم علم الأنثروبولويا المنهج المقارن في دراسة الأنسان (Compaarative Mithod) فهو أنسب الطرق في دراسة الأنثروبولوجيا. حيث تتم دراسة مقارنة لمجتمعات متعددة في أبنيتها الأجتماعية وثقافاتها حتى يمكن التوصل إلى تعميمات علمية مجردة تحد وخصائص تلك المجتمعات .

تعتمد الأنثروبولوجيا الثقافية أو الأجتماعية المعاصرة على ما يسمى بالبحث الحقلي (field Research) أو المعانية الميدانية للنموذج المختار للدراسة. حيث انتهى عهد الأنثروبولوجيا النظرية وأصبحت الدراسة الميدانية هي الحقل التجريبي لعلم الأنثروبولوجيا، تماماً كبقية العلوم الأخرى التي تعتمد على التجارب المخبرية .

من أهم الخصائص التي تميز الأنثروبولوجيا عن غيرها من العلوم الأنسانية هو اختياره لنوعية معينة من النماذج المجتمعية التي تدرسها. وقد كان النموذج المختار للدراسة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر هو المجتمع الذي يوصف بأنه بدائي (Primitive society) لأنه مجتمع صغير نسبياً ومحدود الكثافة تسهل دراسته دراسة كلية شاملة .

يدرس هذا العلم الأنسان من جانبه الفردي والأجتماعي الثقافي معاً. وقد ظهرت مفاهيم علمية تميز هذا النوع من الدراسة فيها :

الأنثروبولوجيا الطبيعية المادية (physical Anthropology) يدرس جسم الإنسان سواء من حيث صفاته ومقاييسه أو من حيث أسلافه وأجداده الأوائل وكيفية انتشاره .

الأنثروبولوجيا الاجتماعية (social Anthropology) وهو دراسة الإنسان والنظم الاجتماعية في علاقاتها وترابطها مع بعضها البعض في شبكة العلاقات الاجتماعية والثقافية. والأمر هنا يتعلق بالعلاقات الاجتماعية والثقافية. والأمر هنا يتعلق بالعلاقات الاجتماعية وأنماطها الثقافية cultural) Anthropology).

هناك مصطلحات ثلاثة متداخله فيما بينها، ويجب فهما والتفريق في دلالاتها :

الأنثروبولوجياEthnology :

دراسة الشعوب والسلالات العرقية دراسة تاريخية مقارنة تتم عبر الزمان، وتبحث في الأصول الأولى للنوع الإنساني العاقل، وتطوره حتى العصر الحالي. ولهذا فهي تهتم بالمقارنة والتحليل من خلال نظره تاريخية. ويدخل في إطار الأنثروبولوجيا دراسة أصول الحضارات والمناطق الثقافية وهجرة الثقافة وانتشارها من منطقة إلى أخرى والسمات النوعية لكل هذه الثقافات .

الأنتونجرافيا :Ethnography

فهي تعني وصف الشعوب أو مصف الثقافات أو أنها الدراسة الوصفية للثقافات المختلفة التي تتعلق بالشعوب البدائية بصورة خاصة، فهي تسجيل وصفي للثقافات أو دراسة الثقافات دراسة غير تفسيريه في المقام الأول. وقد نشأت هذا النوع من الدراسة من خلال كتابات الرحالة القدامى الذين كانوا يسجلون كل ما يشاهدونه عن الجماعات المختلفة حضارياً .

ج. الأنثروبولوجيا الاجتماعية والانثولوجيا :

كل الفرعين يعتمد في دراسته وتحليله وتعميماته على المعلومات الأثنوجرافيه لمجتمع أو ظاهرة ما من ظواهره ولكن بينما تنهج الأثنولوجيا منهجاً تاريخياً انتشارياً في تحليلاتها عن طريق تتبع الطاهرة إلى أصولها التاريخية الأولى وكيفية انتشارها فأن الأنثروبولوجيا الاجتماعية لا تهتم بهذا النهج التاريخي، وإنما تهتم بدراسة الظاهرة دراسة بنائيةً وظيفية هنا الآن أي في مكان وزمان معينين بغض النظر عن التسلسل التاريخي للظاهرة، فهو تاريخ فرضي تخميني لا يعتد به .

الانثروبولوجيا وعلاقتها بالعلوم الأخرى :

العلوم التي لها علاقة بعلم الأنثروبولوجيا هي :

العلوم الاجتماعية، وهي علوم ذات علاقة مباشرة بالانثروبولجيا .

العلوم غير الاجتماعية، كعلوم اللغة والأدب والطب والطبيعة .

ومعيار بناء هذه العلاقة مبنية على معيارين هما :

نوعية العلاقة، إذا كانت مباشرة أم غير مباشرة .

مضمون هذه العلاقة وماذا يتضمن كل علم من الناحية المعرفية .

بناءً على هذين المعيارين يمكن جمع العلوم في علاقتها بالأنثروبولوجيا في مجموعتين .

الأولى: ذات علاقة مباشرة :

وأهم العلوم في ذلك :

علم الاجتماع :

علم الاجتماع يدرس الحضارة المعقدة وتركيبها وخصائصها، والأنثروبولوجيا تدرس الشعوب البدائية البسيطة والمنعزله، في بداية الأمر .

المنهج المستخدم في كلا العلمين مختلف: الأنثروبولوجي يعتمد على المنهج البسيط في الحصول على المعلومة، يعتمد على الوصف والتوثيق، في حين يعتمد على الاجتماع على التحليل وكشف العوامل المؤدية إلى وجود المشكلة .

ولكن يتطور المعرفة، وتطور علم الأنثروبولوجيا، بالذات في الوقت الراهن تخطى هذا العلم حدود دراسة الشعوب البدائية البسيطة، وأصبح يدرس الأنسان في مجتمعه المتطور، وبذلك اقترب هذا العلم من علم الأجتماع في موضوعه، وطرقه المنهجيه، وأدواته القياسية، كطريقة دراسة الحالة، و الطريقة التجريبية، والطريقة التاريخية، وطريقة تحليل المضمون... واستخدام الأدوات القياسية، كالأستمارة أو الأستبانه، والمقابلة الشخصية، والملاحظة...، وبذلك أصبح هذا لعلمان متقاربان إلى درجة التشابه، فمثلاً موضوع الثقافة أصبح يستخدم بشكل كبير في علم الأجتماع، (علم الأجتماع الثقافي) وهذا الموضوع (الثقافة) هو من محاور علم الأنثروبولوجيا .

فالأنثروبولجيا علم يدرس الأنسان في المجتمع المتطور من ضمن البناء الأجتماعي كعاداته وتقاليده، وأمثاله الشعبية وسلوكه الأجتماعية المحدد .

وعلم الأجتماع يدرس الأنسان في مجتمعه المتطور على أنه سلوك اجتماعي وعلاقات اجتماعية وبنية اجتماعية وطبقية .

علاقة الانثروبولوجيا بعلم النفس :

يدرس علم النفس الأنسان في إطار مشكلة سلوكية واهتمام كبير بالسلوك الفردي .

وأن علم الأنثروبولوجيا يميل إلى وضع تقييمات جماعية على أسس ثقافية. ولكن العلاقة بين علم النفس وعلم الانثروبولوجيا لم تكن لتتضح إلا بعد أن بدأ علماء الانثروبولوجيا يركزون اهتمامهم على موضوع

العلاقة بين الثقافة والفرد. فقد أخذ الأنثروبولوجيون يهتمون بموضوعات ومصطلحات ومفاهيم التحليل النفسي والطب النفسي .

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم السكان :

يدرس علم السكان :

التركيب النوعي للسكان... شعوباً وقبائل .

التركيب العمري (فئات الأعمار) .

التركيب الحركي (الهجرة والولادات والوفيات) .

وهنا يأتي الباحث الأنثروبولوجي ليستفيد من علم السكان، لأنه باحث يريد معرفة البنية، السكانية للمجتمع المدروس، ومعرفة تركيبه العمري والنوعي .

ثانياً: علوم ذات علاقة غير مباشرة :

أهم العلوم في ذلك :

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم التاريخ :

علم التاريخ يدرس الإنسان من خلال أحداث تاريخية ومراحل زمنية تبحث في الحضارة والثقافة والعادات والتقاليد، وعلم الأنثروبولوجيا يبحث ذات الموضوعات، وكلن يدرس وصفاً وتحليلاً من خلال المراحل الزمنية للحضارة الإنسانية .

علاقة الانثروبولوجيا بعلم الآثار :

هناك ارتباط وثيق بين العلمين إذ أن علم الآثار يعتمد على الدراسات التتبعية، بتتبع من خلالها المجتمعات والثقافات القديمة من خلال دراسة مخلفاتها وآثارها، ويعيد بعد ذلك رسم صورة الأشكال الثقافية الماضية، وذلك بتتبع نموها وتطورها عبر الزمان. وما يعثر عليه الباحث التاريخي من آثار، يستفيد منه الباحث الانثروبولوجي في وصف الثقافة القديمة وربطها بالبيئة الطبيعية التي وجدت فيها، ومن ثم معرفة حضارة الإنسان الكلية عبر هذه المواد التي يجدها عالم الآثار .

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم اللغويات :

اللغة هي الوسيلة التي يعبر بها الأنسان عن ذاته، وذلك يعبر الأنسان عن سلوكه الأجتماعي باللغة ويرمز بها لعناصر حضارته .

وعلم اللغويات تدرس جميع لغات البشر، والحية منها أم المندثرة االمتطورة أم البدائية، حيث يتركز البحث على أصول اللغات وتطورها وبناءها .

من جملة المتخصصين في دراسة اللغات هم فقهاء اللغة وهم يبحثون في اللغة على اعتبار أنها وسيلة لفهم التراث الأدبي لأي شعب ومن هذا المدخل يرتبط علم الأنثروبولوجيا بالدرسات اللغوية: حيث من خلال اللغة يفهم الأنثروبولوجي، العادات والتقاليد والثقافة. وكذلك معرفة مكانة شعب من الشعوب بمكانة لغته وثقافته مثل :

الرموز اللغوية المستخدمة في الشعائر والمناسبات الدينية .

علاقة الانثروبولوجيا بعلم التشريح والأعضاء والوراثة :

تقدم هذا العلوم مضوعات عن الأنسان من الناحية البيولوجية أو العضوية. وهذا هو موضوع الأرتباط بين العلمين حيث استبد الأنثروبولوجيا على الأصول الأولى للأنسان وخصائصه العضوية وشكله ...

علاقة الانثروبولوجيا بعلم الجيولوجيا :

الجيولوجيا تتعلق بعلم الحفريات القديمة وهي مصدر رئيس لعلم الأنثروبولوجيا. إذ من خلال هذا العلم يمكن تحديد عمر البقايا العظمية لأنسان ما قبل التاريخ مثلاً، ودراسة حضارته وثقافته، وهي مادة علمية للأنثروبولوجيا .

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم التربية :

التربية علم يدرس عموماً التنشئة الاجتماعية النمو المتكامل للشخصية الفردية، فعلم التربية يدرس ما يلي :

مراحل نمو الفرد في المجتمع والمشكلات التربوية التي تواجه كل مرحلة من هذه المراحل .

كيف يتكيف الفرد مع المجتمع عبر عملية التنشئة الاجتماعية .

وتلك الموضوعات هي من أهم مجالات علم الأنثروبولوجيا، في المجتمعات البدائية، حيث كانت الأسرة والعشيرة والقبيلة هي المؤسسة الاجتماعية التي تقوم على عملية تربية الطفل وتنشئته وهي من أهم دراسات علم الإنسان .

إذ ن أصبحت موضوعات التربية محوراً أساسياً في الدراسات الأنثروبولوجية .

-7علاقة علم الأنثروبولوجيا بعلاقة طب المجتمع :

يبحث طب المجتمع في علاقة الصحة العامة بالوعي الاجتماعي عند الأفراد، ومدى تأثر الصحة العامة بالمستوى التكنولوجي والقيم والعادات والأعراف كمؤشرات هامة للحياة الصحية.

ويبحث طب المجتمع علاقة الطب الشعبي بالمعتقدات الشعبية المبنية على الفكر الخرافي والشعوذة وأشكال السحر وما إليها. ومن هنا نجد العلاقة بين الأنثروبولوجيا وطب المجتمع .

ميادين علم الأنثربولوجيا وفروعه :

الانثروبولوجيا علم متعدد الجوانب، ولكن يمكن نقسيمها إلى قسمين رئيسيين، ولكل قسم فروع متعددة .

القسم الأول :

الأنثروبولوجيا الطبيعية أو الفيزيقية :

Physical Anthropology

وهذا القسم يركز على دراسة البناء الفزيقي للإنسان .Physical structure وما يتبع ذلك من أصول كتشريح السلالات البشرية، وتطور الأنسان والخصائص المميزة للسلالات البشرية كتصنيفهم إلى أجناس وعائلات متفاوته في لون البشرة أو شكل الشعر أو طول القامة أو شكل أو حجم الرأس، ولون العين، وهذا القسم قد يسمى بالبيولوجيا البشرية .

القسم الثاني :

الأنثروبولوجيا الاجتماعية :

SOCIAL ANTHROPOLOGY

ويركز هذا القسم على دراسة البناء الثقافي الأجتماعي للأنسان، حيث انقسم العلماء والباحثين في دراسة هذا القسم إلى شعبتين .

فالأوروبيون: وهم أنصار المدرسة الأنثروبولوجية الوصفية Functional Anthropology يؤكدون على أن ميدان الأنثروبولوجيا هو دراسة الوظائف الأنسانية التي تميزها في بقية الكائنات الأخرى. لأنها بالضرورة وظائف ترتبط بنمط محدود من السلوكيات العاقلة .

والشعبة الأخرى، هم الباحثون الأمريكيون الذين هم من أنصار الأنثروبولوجيا الثقافية cultural Antrpo وهم يرون أن الأنسان كائن ثقافي اجتماعي بالدرجة الأولى، وبناءاً على هذا التقسيم نجد أن الباحثين يدرسون الأنسان بطرية أكثر تخصصاً وأكثر تعمقاً استناداً إلى التوجه الذي يريده الباحث أو الجزئية البحثية التي يردي الباحث تداولها والتركيز عليها وعلى ذلك نجد الباحثين يشعبون في دراسة الأنسان إلى عدة شعب، وكل شعبه تعتبر فرعاً من فروع هذا العلم وميداناً من ميادينه، غير أن تلك الميادين لا تعدو أن تكون فرعاً يمكن ضمه إلى أحد القسمين الرئيسين المشار إليهما، وهما الأنثروبولوجيا الطبيعة، والأنثروبولوجيا الثقافية الأجتماعية، وهذه ملاحظات حول أهم هذه الميادين :

الأنثروبولوجيا البيولوجيه (الحيوية) :Biological Anth

وهي تدرس البنية العضوية للإنسان، من خلال :

ما يكتشف من هياكل عظيمة، (علم الحفريات البشرية) .

الدراسات التشريحية .

علم الوراثة (يحدد الأنواع البشرية والسلالات) .

دراسة أثر بعض العوامل الطبيعية على الإنسان مثل تأثير المناخ وتوزيع الموارد والسكان، وكثافتهم والعوامل المرتبطة بتكيف الإنسان .

دراسة ماذا يحدث عندما تتزاوج جماعات مختلفة مع بعضها البعض .

بذلك قسم البيولوجيون الأجناس البشرية إلى أربع جماعات هي: الأوروبيون البيض، والأسيويون الصفر، والأمريكيون الحمر، والأفريقيون السود .

الأنثروبولوجية الثقافية .Cultural Anth :

وهي ميدان يركز من خلال الوصف والتحليل على الثقافة الإنسانية :

للمجتمعات البدائية والقديمة .

للمجتمعات المحلية والريفية والقروية .

للمجتمعات المدنية .

يركز هذا الميدان على دراسة ثقافية الشعوب وخصائصها وعناصرها، وكيف تؤثر وتتأثر، وما هو دور الثقافة في بناء شخصية الإنسان، ودراسة الفروق التي يتميز بها الإنسان استناداً إلى إنتاجه الثقافي، عن الحيوان، برغم أنهما يشتركان في بعض الخصائص العضوية والانفعالية .

ومصطلح الثقافة يصف الجوانب المشتركة لبعض أنواع السلوك المتطور عند الإنسان، وما يتركه ذلك السلوك من آثار ومنتجات عقلية وغير عقلية تتراكم وتكون نمطاً مما يطلق عليه بالمعرفة الإنسانية... سنوسع الحديث في موضوع الثقافة في المحاضرات المقبلة .

الأنثروبولوجيا النفسية :...Psychological Anthro :

وهو ميدان يركز على دراسة العلاقة بين الثقافة والشخصية. وهو ميدان يجمع بين مفاهيم علم الأنثروبولوجيا عن الثقافة، ومفاهيم علم النفس عن الشخصية الأنثروبولوجيا عن الثقافة ومفاهيم علم النفس عن الشخصية وعلى ذلك ظهر مصطلح علمي جديد هو مصطلح الثقافة والشخصية culture and personality.

ابتدأ الباحثون في علم الأنثروبولوجيا، والباحثون في علم النفس بالتعاون في هذا المجال. إذ اهتم المحللون والأطباء النفسيون بالثقافة على اعتبار أنها عاملاً مهماً في تحديد سمات الشخصية السوية، من سمات الشخصية غير السوية .

الأنثروبولوجيا السياسية :Political Anthropology :

وهو ميدان مرتبط بقوة بالأنثروبولوجيا الأجتماعية. وهو عمل يتعلق بالوصف والتحليل للنظم السياسية من حيث بنيانه، وسيرورته، وأشكاله وإشكالاته، وهو من أحدث العلوم، وأخذ بتوسع بسرعة، ويبحث في الأشكال السياسية بمختلف خصائصها. سواء كانت بدائية بسيطة أو مدنية معقدة ومركبة .

وبناءً على التوسع الكبير في هذا الميدان تعددت التيارات الفكرية في تفسير مفهوم الأنثروبولوجيا السياسية. ومن أشهر هذه التيارات :

التيار الفكري التوليدي :

وهذا مفهوم جدلي لتأريخ المجتمعات. ويتعلق بالدراسات الطويلة لنفس المسائل الأصول وعمليات التطور التي حدثت في أساليب الحكم. حيث يبدأ بدراسة تركيب الدولة البدائية وما تولد عنها من علاقات في الحكم كعلاقة القرابة... ثم الانتقال إلى دراسة تكوين المجتمعات السياسية .

التيار الفكري الوظيفي (الوظائفي) :

وهو اتجاه فكري يدرس المؤسسات السياسية القائمة وما تقوم به من وظائف وأعمال. ويمكن التفريق بين نوعين من المؤسسات الأجتماعية السياسية والتي تقدم وظائف محددة :

وظائف تساند النظام الأجتماعي الداخلي .

وظائف تضمن الأمن والدفاع عن الوحدة السياسية .

ج. التيار الفكري النماذجي :

يحدد نماذج النظم السياسية ويصنفها لتحديد تنظيم الحياة السياسية .

وهذا التيار يبحث في الأنثروبولوجيا السياسية على اعتبار أنها مفهوم ثنائي البناء، مهما كان بسيطاً أو بدائياً. فمن الثابت مهما كان الحكم بدائياً، لابد من وجود من يعارضه، ونوعية المعارضة تكون من طبيعة بدائية كذلك وتتقدم نماذج السياسة والحكم على هذا المنوال، فتمتد سلسلة هذه النماذج من نماذج ذات حكم الحد الأدنى الغير واضحة التكوين والحدود، إلى نماذج الدولة الواضحة التكوين. وبتقدم هذه العملية من نموذج إلى نموذج أخرى تحدث تغيرات في السلطة السياسية، وتخرج من بدائيتها أكثر تعقيداً. وبذلك، ليس هناك من نموذج محدد يمكن اتباعه أو التعويل عليه، بل هناك نماذج متعددة ذات خصائص متغيره وغير ثابته .

الأنثروبولوجيا الحضرية :

تدرس وتحلل المجتمعات المحلية الحضرية من حيث ثقافاتها وهجرتها من الريف أو من البادية إلى المناطق الحضارية كالصحة والتعليم والفقر و السياسة والاقتصاد والعادات والتقاليد .

هذا الميدان ينظر إلى المدينة بوصفها مركز حضاري نظرة كلية شمولية بوصفها وحدة متكاملة .

أنثروبولوجيا التنمية :

وهو ميدان معرضي معاصر في علم الأنثروبولوجيا ويركز هذا الميدان على :

موضوعات التغير الثقافي والأجتماعي في البلدان النامية .

عملية الانتقال من الأوضاع التقليدية إلى الأوضاع المتقدمة، وما ينجم عن ذلك من مشكلات تتعلق بالأفراد أو بالمؤسسات. وهو ما يعرف الآن بعمليات تنمية المجتمع المحلي .

عملية التأثير التراكمي جراء عملية التنمية والتغير، والتي من خلالها ينشط الأقتصاد العام للمجتمع .

ويدرس هذا الميدان كيفية التحكم في زيادة السكان، وفي صياغة الأهداف والحد من الأختلال البيئي الايكولوجي .

الأنثروبولوجيا اليدوية :

يركز على دراسة ووصف وتحليل المجتمع البدوي من حيث :

تكوينه البنائي .

خصائصه التي تميزه عن المجتمع الريفي أو الحضري .

ثقافته وكيف تتكون وخصائصها وأساليب تغيرها، وعاداته وتقاليده .

مصادر عيش المجتمع البدوي .

النظم الاجتماعية المكونة له، كنظام القرية ونظام الدين والتربية، ونظام الزواج، والتضامن الاجتماعي، والأمن الداخلي والخارجي وموضوع القبيلة والعشيرة .

الأنثروبولوجيا الاجتماعية :

وهو من أهم ميادين علم الأنثروبولوجيا وهو يدرس الجانب الاجتماعي للإنسان، فهو يدرس بالوصف والتحليل :

المجتمع الإنسان القديم والمتطور من حيث بنائه الاجتماعي وخصائصه، ومكوناته، وعاداته وتقاليده .

يدرس نظمه الاجتماعية، كالنظام الأسري والتربوي والاقتصادي والسياسي .

يدرس الأمثال الشعبية والأفكار والمعتقدات والمعارف الشعبية كالطب الشعبي والأعياد والنذور...إلخ.

وهذا الميدان من العلم مرتبط بعلم الاجتماع. حيث طرح هذا المفهوم (الأنثروبولوجيا) الفيلسوف (أوغست كونتا) وتلاميذه. حيث اقترحوا إنشاء علم جديد بهذا المسمى (الأنثروبولوجيا الاجتماعية) وذلك لدراسة ظواهر الاجتماع الإنساني .

مناهج البحث الأنثروبولوجية :

طبيعة ومفهوم المنهجية الأنثروبولوجي :

من كل ما أشرانا إليه فيما مضى، ومن خلال تلك الميادين والتيارات الفكرية التي بني عليها علم الأنثروبولوجيا يتبين أن الدراسات الأنثروبولوجية متعددة وكثيرة الفروع. ولهذا كان طبيعياً أن يستخدم علماء الأنثروبولوجيا مناهج بحث متعددة وأساليب لجمع المعلومات متنوعة. فمنها ما يشترك فيها الأنثروبولوجي مع غيره من الباحثين في مجال الدراسات الأنسانية كعلم النفس وعلم الأجتماع، وعلم الأقتصاد، ومنها ما هو خاص ينفرد به علم الأنثروبولوجيا وبالذات الأنثروبولوجيا الطبيعية (الغيزيقية) حيث يستخدم الباحث المنهج التجريبي، ومنهج الملاحظة العلمية، أو منهج القيام الأنثروبولوجي (الأنثرومنزي) .

ومن منظور آخر، فأن الدراسات الأنثروبولوجية تمتاز بترابطها وتكاملها وبنظرتها الشاملة للنظم والظواهر الأجتماعية. فالباحث يفسر الحقائق الأنثروبولوجية على أساس ترابطها وتشابكها بعضها

بالبعض الآخر. وهنا يمكن أن نستعرض العديد من المناهج البحثية التي يستخدمها الباحثون في ميدان الأنثروبولوجيا بمختلف فروعها وأنماطها .

طريقة المنهج الأثنوغرافي :Ethnoghraphic Resaareh

هذا المنهج من أشهر المناهج المستخدمة في الحصول على معلومات علمية دقيقة حول الظاهرة المدروسة. المبدأ العام المبني عليه هذا المنهج هو أن الباحث يحصل على المعلومات والبيانات حول الظاهرة الأجتماعية التي يريد دراستها من واقع الميدان ذاته. فقد بدأ الباحثون من تحديد مجال البحث بدقة وعناية، وتحديد الظاهرة بكل تفاصيلها ودقائقها، وبكل موضوعية وتجرد. ثم أن الباحثين ارتحلوا إلى النظم الأجتماعية المراد دراستها، وعاشوا بين أفرادها لمدة لا تقل عن سنة، بحيث يتمكن الباحث من إتقان لغة ذلك وفهم دقائق علاقاته وعاداته وتقاليده ومعتقداته وشعائره، وكل ما يتصل بنظام حياته. (فهي بداية الأمر كانت هذه الطريقة تستخدم من قبل المبشرين المسيحيين). وهذا ما أطلق عليه بطريقة البحث العقلي (field Research).

وتعتمد الدراسة الأثنوجرافيه على ما يسمى بالملاحظة العلمية (scientific observation) وهذا النوع من المنهج على ثلاث أقسام :

الملاحظة المباشرة :Monography :

وهي طريقة علمية مباشرة للوصول إلى المعلومات الدقيقة حول الظاهرة المدروسة. وهي تهتم بدراسة المجتمعات البدائية من حيث عناصرها. العرقية أو السلالية، وأصولها الثقافية، ودياناتها وطقوسها وقيمها وتقاليدها .

والباحث يجب أن تتوفر فيه شروط :

يجب أن يتدرب تدريباً دقيقاً على أساليب التفكير العلمي، والتي يجعل منه باحثاً محايداً هدفه الوصول إلى الحقيقة العلمية واكتشاف القوانين الدقيقة التي تحكم العلاقات الأجتماعية .

يجب أن يكون دقيق الملاحظة، ويتحلى بالصبر وعدم التعجل في استنتاج النتائج .

عليه أن يتعلم أفرادها وفهم نظام العاطفة الممزوج بنظام التخاطب، وبفكر بمثل ما يفكرون .

إذا لم يتمكن من إتقان اللغة لضيق الوقت، أو لقلة الأمكانات، عليه أن يتخذ وسيطاً، أو مرشداً من أعضاء مجتمع الدراسة تتوفر فيه شروط الدقة والموضوعية والأمانه في نقل المعلومات والترجمة .

على الباحث أن يسجل المعلومات فور الحصول عليها حتى لا تتعرض للنسيان أو الخطأ .

على أن يستعين بكافة الوسائل التي تعيينه على الحصول على المعلومات الدقيقة في ذات الموضوع الذاتي يبحث فيه، قبل آلات التصوير، وآلات تسجيل الأصوات والخرائط الجغرافية والبيانية، والاستفادة من أحدث الوسائل العلمية في جمع البيانات وتصنيفها وجدولتها .

أن يتم جمع البيانات بطريقة تلقائية لا تشعر الآخرين بأنهم مراقبين أو مقصودين، مثل المشاركة في الأحاديث العابرة، أو في بعض الشعائر والمراسم والعادات .

ومن الوسائل المفيدة والمساعدة في هذا النوع من الدراسات هو الاستفادة مما يسمى بجدول البحث الاستقصائيschedule ، أو بما يسمى الاستفتاء Questionable بشرط :

أن يخلو من الصياغة اللغوية الغامضة .

أن يستخدم الألفاظ المتداولة .

أن يكون المجتمع المدروس على وعي كافٍ بحيث يتمكن من الأجابه بطريقة مباشرة على مثل هذه الوسائل العلمية .

أن يستعين الباحث بالأسئلة التي أعدها الأثنوغرافيون. ومن أشهرها أسئلة إفو كارت .(Foucart) والتي وضعها عام 1919م. وكان يعمل في مصر، وهو متخصص في مجال الجغرافية فقط وضع حوالي 1200 سؤالاً تتناول كافة المعلومات التي يمكن أن يحتاجها الباحث الأثنوغرافي. وتعتبر مرشداص يستهدي بها الباحث لبناء أسئلة جديدة تتعلق بالمجتمع الذي سيقوم بدراسته. ويمكن أن يستعين الباحث بنماذج أسئلة تورغوTurgo ، عن النظم الأقتصادية، وأسئلة كيندل Caindle عن الفولكلور الشعبي، وهكذا...

بعد حصول الباحث على المعلومات والبيانات التي يحتاجها في دراسته يقوم بتبويبها وتصنيفها إلى مجموعات متجانسة، وفي شكل تكرارات، إحصائية، تفيد في الوصول إلى استنتاجات محددة. حيث يتمكن الباحث الأنثروبولوجي بهذه الطريقة أن يصنف بعض النظم الأجتماعية إلى أنماط محددة، كتصنيفهم على أساس نوع القرابة العائلية، أو الدينية، أو العرقية، أو المنافع الاقتصادية، أو نظام الحقوق والواجبات، أو المراكز الاجتماعية للأفراد...إلخ .

الملاحظة غير المباشرة :

يعتمد هذا الأسلوب الأثنوغرافي على جميع المعلومات والحصول عليها من خلال مصادر أخرى كالرجوع إلى آراء ومؤلفات الباحثين والدارسين السابقين أو المعاصرين، أو الاعتماد على ملاحظات ومشاهدات الرحالة والمسافرين، أي اعتماد الباحث على المصادر والوثائق والرواية التي تكون ذات علاقة بموضوع الدراسة. وفي هذه الحالة يجب أن يعتمد الباحث على شروط منها :

تدقيق الباحث في المصادر والإحاطة بها.

فهم الباحث ما تحتويه تلك المصادر من معلومات .

استبعاد المصادر والمعلومات التي يعتريها الشك .

الابتعاد عن المعلومات التي تأتي من غير المتخصصين في موضوع الدراسة .

وأن المصادر، أو المعلومات التي يمكن أن يستفيد منها الباحث في هذه الطريقة على أنواع كثيرة منها :

المصادر أو المعلومات المكتوبة، أو المروية بالتواتر .

المعلومات التي يمكن استنباطها من الأساطير أو انعلكلور الشعبي كالأغاني والموسيقى والقصص والأمثلة التقليدية وروايات البطولات التي يتناقلها أفراد المجتمع وما ينسج حولها من أساطير.

العادات التقليدية والمعتقدات الشائعة بين الناس، وكذلك آداب السلوك التي يراعيها أفراد المجتمع .

الملاحظة بالمشاركة :Participant observation :

هذه الطريقة أقرب ما تكون من طريقة الملاحظة المباشرة التي تمت الإشارة إليه ويطلق عليها المتخصصون عدة تسميات منها :

طريقة التداخل الوظيفي .Functional Participation

طريقة الملاحظة غير النظامية .Unstructured observation

الطريقة الكلية :Holistic approach :

وهذه الطريقة تتعلق بتحديد الدور (Role) الذي يجب أن يقوم الباحث به عندما يكون في مجتمع الدراسة، حتى يتمكن من الحصول على ما يسمى بالمعلومات الموضوعية المتصلة بالقضية المدروسة، أو المجتمع

المدروس. والمقصود بالمعلومات الموضوعية، هو فهم طبيعة البناء الذي يتكون منه المجتمع (social structure)وفهم دقيق لثقافة ذلك المجتمع .(social culture)

ودور الباحث، معناه المعايشة الفعلية بين أفراد المجتمع المراد دراسته بشرط الابتعاد عن أي سلوك أو تصرف قد يغير من عادات وتقاليد ذلك المجتمع. وأن يتمكن الباحث من إزالة عوامل الريبة والشك حول دوره وهو مهنته. أي على الباحث أن يعزز دوره في أداء مهمته باكتساب ثقة أفراد المجتمع المراد دراسته. وأن يكون في قرارة نفس الباحث أنه جاء من ثقافة أخرى، وأنه ابن ثقافة تختلف عن ثقافة المجتمع المدروس. وعلى الباحث في أداء مهمته ودوره أن يتعلم لغة ذلك المجتمع المبحوث، ويجيدها بشكل دقيق حتى يتقن طريقة تفكيرهم وتصوراتهم وعلى الباحث أن يكتب تقريراً مباشرة ويومياً عن كل ما يلاحظه ويشاهده أي عمل كل صغيرة وكبيرة أو شاردة وواردة (Field Notes) .

طريقة المقابلة :Interview Method :

وهو منهج آخر ومهم جداً في الدراسة الأنثروبولوجية. وهذا المنهج يعتمد بطريقة أو بأخرى على تحديد أسئلة دقيقة حول الظاهرة الاجتماعية المراد دراستها، ثم مقابلة عناصر المجتمع وجزء دقيق منهم، للإجابة عن تلك الأسئلة. والمقابلة على قسمين :

القسم الأول:

المقابلة الموجهة :Guided Interview

وهي طريقة يقوم على إعداد استمارة مبنية من عدد من الأسئلة. وتصاغ الأسئلة بدقة، وتكون مفاهيمها مرتبطة بصورة مباشرة بموضوع الدراسة وتشتمل على عدة إجابات محتملة ليكن أن تملأ الأستمارة بسرعة، ويسهل تفريغها في جداول. ويقوم الباحث بقراءة الأسئلة أمام الشخص المراد مقابلته، ويترك له حرية الأجابة عن تلك الأسئلة، ويقوم الباحث بتسجيل الأجابات وفقاً لبنود الأستمارة سلباً أو إيجاباً أو احتمالاً. وهي طريقة أكثر ما يستخدم في المجتمعات المتحضرة والمتمدنة. ولا يمكن استخدامها في المجتمعات البدائية لعدم وعيها ودرايتها بأهمية المعلومات التي لديهم ولشكوكهم حيال مثل هذه الدراسات .

القسم الثاني:

طريقة المقابلة غير الموجهة :

وهي تعتبر من الطرق الرديفة التي تعزز طرق جمع المعولمات الأخرى، مثل طريقة الملاحظة بالمشاركة وقوام هذه الطريقة يعتبر على مقابلة بعض أفراد المجتمع بالذات الأفراد البارزين والقياديين الذين يتمتعون بسمعة طيبة بين أفراد المجتمع المدروس. والباحث هنا عند اختياره مثل هذه الشخصيات يحاول أن يكتسب ثقتهم وتكون بينه وبينهم علاقات طيبة تجعلهم يفتحون قلوبهم له، ويوفرون له الحقائق والمعلومات الصحيحة والدقيقة غير المزيفة. مثل هؤلاء يعتبرون بالنسبة للباحث إخباريون. إذ يتيح لهم الباحث فرصة الإجابات المطولة عن التساؤلات التي يطرحها دون توجيه أو تدخل. وعندما يتنقلون في الحديث من موضوع إلى آخر عليه أن لا يحاول إيقافهم أو قطع حديثهم، بل يشجعهم على ذلك ويدعوهم للاسترسال في الحديث الذي يهم الباحث وبطريقة لبقة .

الباحث هنا وبكل حذر وبدون تصرف يثير الشك والريبة، عليه أن يدون كل ما يسمعه أو تسجيلها بالآلات الحديثة. وإذا كان هناك من ممانعة في التسجيل على الباحث أخذ النقاط الأساسية والخطوط العريضة، ثم يدون التفصيلات بعد الانتهاء من المقابلة مباشرة. هذه الطريقة مفيدة لأنها تظهر خصائص الأفراد الشخصية وسماتهم الذاتية، من خلال إعطائهم معلومات تفصيلية عن الموضوعات التي تدور حولها الأسئلة .

القسم الثالث:

السيرة التاريخية أو سيرة الحياة:

وهي من الطرق التي يستخدمها الأنثروبولوجيون أثناء الدراسة الميدانية :

وهي مبنية على تدوين أهم الأحداث التي تمر في حياة بعض أفراد مجتمع الدراسة. حيث يطلب الباحث من الفرد المعني أن يقص عليه تاريخ حياته منذ أن كان طفلاً صغيراً حتى تاريخ الحديث أو اللقاء.

يجب على الباحث هنا أن يبني صلة طيبة مع الفرد المعني حتى تتوثق العلاقة، ويفضي الفرد المعني بمعلومات معتمدة وصادقة يمكن الاعتماد عليها. هذه الطريقة جيدة. واجتماعية وتعطي للفرد المعني نوعاً من الأهمية، ولكنها في نفس الوقت لا تخلو ن صعوبات منها: صعوبة تذكر الأحداث القديمة وإمكانية الإدلاء بمعلومات كاذبة .

هنا يتمكن الباحث من التأكد من صحة المعلومات من خلال دراسة سيرة أكثر من فرد، ومقارنة معلوماتهم والأخذ بالمعلومات التي يتفقون عليها .

هذه الطريقة تفيد الباحث في الحصول على كثير من المعلومات الاثنوغرافية الثقافية، على الأخص إذا كان الفرد المعني، ذا مركز هام في المجتمع، سواء كان ذلك المركز سياسي أو اقتصادي أو عقائدي .

يتمكن الباحث من أن يعزز صدقية معلوماته كذلك بدراسة تاريخ حياة الأسرة. حيث يجمع معلومات من عدة أشخاص ينتمون إلى أسرة واحدة وأن يكون سرد تاريخ الحياة بطريقة تلقائية بعيدة عن التكلف أو الانفعال .

هذه الطريقة مفيدة وفعّالة لدى الأنثروبولوجيين الذين يهتمون بدراسة الثقافة والشخصية، أو الذين يهتمون بما يسمى بالأنثروبولوجيه النفسية .

القسم الرابع :

طريقة المقارنة .comparative method :

أساس هذه الطريقة هو عدم الاكتفاء في الحصول على المعلومات والتوثق منها على دراسة ميدانية واحدة، بل على دراسات ميدانية متعددة. وهذا الأمر يتيح المجال للباحث كي يقوم بالمقارنة بين تلك الدراسات. وهي أقرب ما تكون إلى الطريقة العقلية التحليلية بالنسبة للباحثين الأنثروبولوجيين حيث يصل الباحث إلى تعميمات دقيقة من خلال الاعتماد على عدة دراسات وليس من خلال دراسة واحدة على أن تكون تلك الدراسات قد طبقت على مجتمعات مختلفة في تكويناتها ونظمها. فكل دراسة جديدة توسع في مجال المقارنة والتحليل بين النظم الاجتماعية والأنساق الثقافية. على ذلك يتمكن الباحث باستخدام هذه الطريقة أن :

يفهم البناء الاجتماعي كله وليس جزء منه .

يكشف عن الوظائف الاجتماعية التي تؤديها النظم الاجتماعية .

الكشف عن التأثيرات المتبادلة بين النظم الاجتماعية .

إذا تمكن الباحث من فهم تلك الوظائف الثلاث بالنسبة لمجتمع واحد بعينه، يتمكن بعد ذلك مقارنة تلك الوظائف بمثيلاتها في مجتمعات أخرى .

ويجب عند المقارنة استخدام الدراسات الميدانية المشهود لها بالعلمية والموضوعية والتي نفذها المتخصصون في الأنثروبولوجيا بفروعها المختلفة .

هناك تقليد علمي، في هذا المجال يسمى بتعقليد "مالينوفسكي ."

ويستخلص مفهوم هذا التقليد في أن يتخصص الباحث الأنثروبولوجي في مجتمع واحد أو على أكثر الأحوال في ثلاثة مجتمعات، بحيث يقضي الباحث حياته العلمية كلها في الكتابة عن تلك المجتمعات

ودراستها وتحليل بناءها الاجتماعي وذلك بغرض الوصول إلى فهم عميق لأنماط وخصائص نظمها الاجتماعية .

وقد أكد الباحث مالينوفسكي بأنه لا يمكن فهم الحياة الاجتماعية لدى شعب من الشعوب البدائية إلا إذا درست دراسة عميقة ومركزة. وقد نفذ مالينوفسكي تأكيده هذا عندما درس قبائل "التروبرياندر" إحدى قبائل شرق آسيا الكبيرة، دراسة مطولة استغرقت أربع سنوات، وكان أول من استخدم لغة الأهالي في جمع المعلومات. وقد أتاحت له هذه المدة الطويلة فرصة التعمق والتغلغل في الحياة الاجتماعية لتلك القبائل. وقد انتقد بعض الباحثين تقليد مالينوفسكي .

حيث أن التركيز على مجتمع واحد يستنفذ جهد الباحث ويؤدي إلى قلة تحدد الدراسات وهذا الأمر يعرقل الدراسة الميدانية المقارنة،ـ نتيجة لقلة الدراسات .

ولتلافي هذه الإشكالية، تمّ اقتراح نوع جديد من المقارنة سمي "بالمنهج التجريبي المقارن". وهو يعني أنه يقوم الباحث الأنثروبولوجي باستنتاج عدة نتائج من دراسية العميقة والمطولة لمجتمع واحد، ومن ثم يقوم الباحث ذاته أو باحث آخر بالتحقق من صحة وموثوقية تلك النتائج تجريبياً وذلك بمطابقتها نتائج دراسات أخرى مشابهة وتحمل نفس المفاهيم. وبذلك تتسع صحة تلك النتائج بصورة تدريجية، وتتحول من كونها مجرد فروضا لتصبح قوانين أو مبادئ عامة .

ومن العلماء الذي طبقوا هذه الطريقة هو الباحث "شنايدر" عن فحث النتائج التي توصل إليها الباحث "برتشارد" في دراسته لقبائل "التنوير" في السودان. حيث أخذ "تشنايدر" نتائج تلك الدراسة وطبقتها على قبائل "الزولوا" في السودان لذلك وهناك أمثلة متعددة في هذا المجال .

ثالثاً: الأنثروبولوجيا الثقافية :

طبيعة الثقافة :

مصطلح الثقافة يعني وصف الجوانب المشتركة لبعض أنواع السلوك التي بلغت مبلغاً عالياً في التطور عند الأنسان، وإن تكن موجودة بدرجة أو بأخرى عند بعض الأنواع الأخرى. والأنسان العاقل يتميّز بتنوع ملحوظ في أنماط سلوكه، برغم التشابه من الناحية الفسيولوجية .

والسلوك الأنساني متنوع في معظم الأنشطة التي يؤديها، مثلاً عادات الطعام تباين بشكل لا نهائي والملابس تتنوع كذلك، وكذلك الطرق التي تحكم سلوك الناس تجاه بعضهم البعض تتنوع هي بشكل كبير. فلدى

بعض قبائل الهنود الحمد لا يجوز للوالد أن يساعد أطفاله أو يعلمهم ويربيهم، بل أن خال، الأطفال هو الذي تناط به هذه المهمة، وعند بعض القبائل الأسترالية لا يجوز للفرد أن يتزوج إلا من بين بنات العمومة أو الخئولة .

وبذلك نستنتج أنه لا توجد أساليب سلوك تنطبق على البشر كافة في المكان والزمان .

فما هي الأساليب التي ترجع إليها تلك القروق إذن ولماذا يتباين الناس بهذا الشكل في سلوكهم، برغم انتمائهم جميعاً إلى نوع واحد؟

الأجابة عن مثل هذه الأسئلة تدخلنا في موضوع الثقافة. فما هي الثقافة؟

مفهوم الثقافة :

مظاهر النمو الفسيولوجي التي تحدث عند الحيوانات الأخرى قبل الميلاد تحدث عند الأنسان، وتضل مستمرة عنده بعد الولادة. فالطفل الرضيع العاجز يأتي إلى هذه الدنيا غير مزود بأي أساليب موروثة للسلوك تتميز بأنها متطورة فعلاً. ولكنه يستطيع أن يطور لنفسه خلال فترة ما بعد الولادة قدرة فائقة على مرونة الأستجابة للظلاوف المحيطة .

والثقافة من الناحية الاصطلاحية من أوسع الدراسات التي ركز عليه الباحثون الأنثروبولوجيون وغيرهم من الدارسين. ومن أشهر من بحث مفهوم الثقافة من الناحية الأنثروبولوجية هما الباحثان الأمريكيان :

الفريد كرويبر A. Krober

كلايد كلوكهون .C. Kluckhohn

تمكنا هذا الباحثان من استعراض أكثر من 160 تعريفاً للثقافة وتوصلا إلى أن الثقافة ذات مضمون تاريخي .(Historical Meaning)أي أنها تراكماً لعديد من الأنماط والمركبات الثقافية التي تراكمت عبر التاريخ طويل. وهي بالتالي تشتمل على ما يلي :

الأنماط السلوكية والأفكار والقيم .

لها صفة الأختيار والأنتقاء (يختار الثقافة ويطورها، الحيوان يرث سلوكه تلقائياً) .

وهي مكتسبة ومتعلمة .

هي تجريد للسلوك الأنساني، وإن لم تكن هي السلوك نفسه، بل هي نتيجة لهذا السلوك .

ونظراً للأعداد الكبيرة من التعريفات لمفهوم الثقافة، نستعرض أشهرها :

تعريف أدوارد تايلر .E. Tylor

ذكر في كتابه "الثقافة البدائية (Pricitive cultuke) يعرف الثقافة أو الحضارة من الناحية الأثنوغرافية بأنها: ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغير من القدرات التي يكتسبها الأنسان بوصفه عضواً في مجتمع .

تعريف كل من بيلز R.L. Beals وهويجر :H. Hoiver

الثقافة تتضمن في معظم تعريفاتها التطبيقية أنماط وأساليب الحياة العامة في أي زمان أو مكان تتضمن بصفة خاصة الأنماط السلوكية لكل مجموعة من المجموعات البشرية المتشابكة والمتداخلة قلّ عددها أو أكثر وأن الثقافة ما هي إلا تجريد مستمد من السلوك الأنساني الملاحظ حسياً برغم أنها هي ليست نفس هذا السلوك .

تعريف هورتن P.B. Horton وهنت :C.L. Hunt

الثقافة هي كل ما يتعلمه الأنسان أو يرثه كميراث اجتماعي لا بيولوجي ويكن قابلاً للتطوير أو التعديل أو التغيير، وبحيث يصبح المقبول من العناصر الوافدة أو المتعلمة جزءاً من التراث الثقافي الذي ينتقل إلى الأجيال اللاحقة من الأجيال السابقة. والتراث الأجتماعي الذي يكون الثقافة، ينقسم إلى قسمين هما :

الثقافة المادية :Material culture

وتتألف من الأشياء المادية كالالات والعدد والسيارات والمصانع والمباني ووسائل الزراعة ...إلخ.

الثقافة غير المادية) المجردة :Abstract) Non-materisl cuhver

وتشتمل على اللغة والأفكار والقيم والتقاليد والمعرفة...إلخ .

خصائص الثقافة :

الثقافة، وفقاً للمفهوم الذي ناقشناه في المحاضرة السابقة، هي عملية إنسانية وهي نتيجة لذلك متنوعة، وتترك على الدوام آثاراً مادية ومعنوية، أي أنها تشير على وجودها بمجموعة من الدلائل والآثار ومن استقراء تلك الدلائل والآثار يمكن تميز الثقافة الأسبانية وهذا استعراض من عام لما اتفق عليه الباحثون من خصائص :

الثقافة الإنسانية :

الإنسان هو الكائن الوحيد الذي منحه الخالق جهاز حصين خاص وقدرات عظيمة فريدة تتيح له إمكانية ابتكار أفكار وأعمال جديدة، ويتميز ذلك الجهاز العصبي بقدرة فائقة على تغيير السلوك البشري من وقت لآخر للتكيف مع الظروف البيئية والاجتماعية الجديدة دون الحاجة إلى ضرورة حدوث تغيرات عضوية .

ثقافة مكتسبة :

يكتب الإنسان الثقافة من مجتمعه، منذ مولده عن طريق الخبرة الشخصية وبما أن كل مجتمع إنساني يتميز بثقافة معينة محددة بزمان و مكان معينين فأن الإنسان يكتسب ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه منذ الصغر ولا تؤثر العوامل الفسيولوجية والسلالية في عملية التنشئة الاجتماعية (enculturation) وهي عملية نقل ثقافة المجتمع إلى الطفل الذي يعيش فيه .

والثقافة عملية مكتسبة تتم عن طريق التعلم فالإنسان يعتمد إلى حد كبير على ما يسمى بالوراثة الثقافة (cultural heritage)فالإنسان خلال حياته يحصل على معلومات جديدة تدريجياً من الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، وبذلك فهو يكتسب سمات ثقافته عن طريق التعليم أو التلقين الذي يعني انتقال الأساليب والسمات الثقافية إلى الأجيال الأخرى. والمطلب الأساسي لاكتساب الثقافة هو الاتصال بالآخرين وعملية الاتصال هي مسألة تفاهم مع الآخرين .

الثقافة أفكار وأعمال :

يتعامل الإنسان في بيئته مع ثلاثة عوالم، العالم المادي، والعالم الاجتماعي والعالم الفكري والرمزي. فالنسبة للعالم المادي نجد الإنسان لم يقف مكتوف الأيدي أمام البيئة الجغرافية وعناصرها، وإنما أخذ يشكل منها ويحولها إلى أدوات وآلات ومنازل ومدارس ومصانع. وهذه العناصر المادية تحولت إلى أعمال إنسانية بعد أن أثر فيها الإنسان. ويجب ملاحظة أن كل عمل إنساني لا يمكن أن يتم ما لم تسبقه فكرة واردة التنفيذ .

أما العالم الاجتماعي فيشتمل على النظم الاجتماعية التي تحدد علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، ومنها تبتكر وتحدد النظم والعلاقات الاقتصادية والسياسية والعائلية والعادات والتقاليد .

أما علاقة الإنسان بعالم الأفكار المجردة والرموز فإننا نجد نظماً ثقافيه تحدد تلك العلاقات بطابع معين في كل مجتمع إنساني. وهي أمثلة تلك النظم اللغة والدين والقيم. وهذه الأفكار لا تخلو من كونها أعمال كذلك .

الثقافة تعتبر فوق عضوية :

الثقافة تعمر بعد أجيال بعينها. وهذا يعني أن مضمونها نتاج إنساني جماعي أكثر من كونها نتاج بيولوجي والثقافة هي فوق عضوية لكونها كامنة في الشعور السيكولوجي عند الإنسان، إذ أن قدرته التي لا حد لها على اختراع واستخدام الرموز تمنحه القدرة على الخلق والابتكار واكتساب أشكال جديدة للحياة دون أن يكون هناك أدنى تغيير أو تحوير في بنائه العضوي .

لها صفة الاستمرار :(continuity)

الثقافة تبقى بعد موت الأفراد الحاملين لها. ومعنى هذا أنها لا ترتبط بأفراد محددين بالذات. بل تبرز قدرتها على الاستمرار عبر الأجيال. فالسنن الأجتماعيه والقائد والخرافات والطرق الشعبية تستمر لفترة طويلة جداً. وقد تتأثر بعض جوانب الثقافة وسماتها ويعتريها التغير، غير أن بعض السمات تبقى تحمل سمات، البقاء وإن اعتراها تغيير وتعديل. وهذا ما يطلق عليه الانثروبولوجيون مصطلح "البقايا" أو الرواسب الثقافية .(cultural vesiduals)

الثقافة اجتماعية :

يدرس الأنثروبولوجي سلوك الأفراد ليستنتج منها أنماط الثقافة، وهو بذلك يدرس هؤلاء الأفراد كأعضاء في جماعة معينة وليس بصفتهم الفردية أو الشخصية والنظم الثقافية تختلف في مدى شموليتها فهناك نظم شاملة تطبق على الجميع. وهذا ما يمكن أن يسمى بالشمول الكلي. وهناك نظم تطبق على جماعة معينة داخل المجتمع الواحد ولا يطبق على الجماعات الأخرى. وهذا ما يمكن أنسميه بالشمول الجزئي أو الخاص .

ومن حيث هذا المفهوم لعملية الشمول قسمت الثقافة إلى ثلاثة أنواع :

العموميات :universals

وهي النظم الثقافية التي يتبعها كل أفراد المجتمع، ومن أمثلة ذلك اللغة، وقانون العقوبات وما إلى ذلك .

الخيارات :alternatives :

وهي مجموعة من النظم والعناصر الثقافية التي تطبق في موقف معيّن وللفرد الحرية في اختيار أحدها وترك الباقي كأن يتزوج الرجل قريبته أو يتزوج من عائلة أخرى لا تقرب له، أو أن يختار الفرد مهنة محددة لعمله ويترك بقية المهن. هذا الأمر من الأمور الثقافية المشروعة التي يقرها النظام الاجتماعي .

ج. الخصوصيات أو التخصصات :specialties

فكل مجتمع يشتمل على تقسيمات فرعية في داخله. وكل تقسيم ينظم إليه مجموعة من الناس، وتتميز كل جماعة بنظم وعناصر ثقافية خاصة بها ولا توجد في كثير من الأحيان عند غيرها فهناك جماعات العمال والنجارين والتجار والطلبة والأطباء والمهندسين والصيادله والمحاسبين والضباط والجنود، وموظفي الشركات، وموظفي الحكومة...إلخ. فكل جماعة لها أنماط ثقافية تميزها عن غيرها .

الثقافة متنوعة المضمون :

تختلف الثقافات في مضمونها بدرجة كبيرة. قد يصل هذا الاختلاف إلى درجة التناقض. ويرقع مضمون تباين الثقافات إلى العوامل التالية :

للعقل البشري قدرة فارقة على اختراع أعداد لانهائية من الأفكار. ولا توجد تقريباً حدود على تخيلات الإنسان وأفكاره التي يتمكن من تحويلها إلى أعمال. والإنسان بعقله وتفكيره هو المخلوق الوحيد الذي صنع ثقافة، وكانت ثقافته متنوعة بسبب قدرة العقل على اختراع أفكار مختلفة ومتنوعة فلي حل المشكلة الواحدة .

تعلب الطاقة دوراً كبيراً من تحديد الصورة العامة للثقافة. فعندما اعتمد الإنسان على طاقته الجسمية كانت ثقافاته بسيطة بدائية، وعندما اعتمد على الحيوانات الأخرى وعلى النبات كمورد جديد للطاقة، فتحت أمامه مجالات جديدة لاستغلال هذه الطاقة الضخمة الجديدة التي لم يكن يعرفها عندما اعتماده على طاقة جسمه المحدودة، وكذلك الحال عندما اكتشف موارد أخرى جديدة للطاقة مثل الفحم والبخار والبترول والطاقة الذرية والشمسية .

تلعب البيئة الجغرافية في تنوع القطاع المادي للثقافات. لذلك نجد أن البيئة الجغرافية تقدم للإنسان، احتمالات عديدة يختار الإنسان في بيتها .

حجم الجماعة الإنسانية يوجد ترابط موجب بين درجة النمو الثقافي وحجم الجماعة الإنسانية. فثقافة القبيلة البدائية الصغيرة تختلف عن ثقافة القرية التي يقطنها عدة قبائل، وثقافة المدينة أكثر تعقيداً من ثقافة القرية وهكذا...إلخ .

مدى الاتصال والتعاون بين الجماعات الإنسانية أثبت الباحثون أن هناك علاقة بين معيشة الجماعات الإنسانية المنعزلة وتجمد ثقافاتها. كما أثبت الباحثون أن هناك علاقة بين معيشة الجماعات المنفتحة والتي هي على اتصال مع الجماعات الإنسانية الأخرى في نمو ثقافاتها وانتقالها من مراحل البدائية إلى مراحل التقدم والتمدين .

وتعلب القيم التي يؤمن بها المجتمع الإنساني دوراً كبيراً في تنوع الثقافات. وترجع بعض تلك القيم للأديان السماوية، ولذلك نجد فرقاً كبيراً بين مستوى ثقافات المجتمعات الوثنية وثقافات المجتمعات المنتمية للأديان

التي تنادي بها الأديان، ومنها العمل والعلم والإخلاص والتصدق، والتعاون والتماسك والكرامة وارتفاع مكانة المرأة، كلها قيم تلعب دوراً كبيراً في النمو الثقافي وتنوع الثقافات .

الثقافة متشابهة الشكل :

تبين الأمثلة السابقة أن الثقافات متنوعة في مضمون وفحوى نظمها. ولكن إذا نظر إلى الإطار الخارجي أو الشكلي لتلك النظم نلاحظ تشابهاً واضحاً في جميع الثقافات مهما اختلفت في سلم النمو والتقدم الثقافي، ومهما اختلفت الأسس المستخدمة في قياس تلك الثقافات وتصنيفها. والتشابه في الإطار الخارجي للثقافات المختلفة بسب وجود مشتركات مظهرية عامة في النظم الاجتماعية. كالنظام العائلي مثلاً، وتسمى تلك النظم المتشابهة في جميع الثقافات "بالأنماط العالمية للثقافةUniversal Patterns of cuiture ."، والأنماط العالمية التي تجمع بين الثقافات المختلفة في إطارها الشكلي هي كالتالي :

اللغة .

العناصر والمركبات المادية :

عادات الطعام .

المأوى.

وسائل النقل والسفر.

الملبس.

الأدوات والآلات.

الأسلحة.

المهن والصناعات.

الفن: كالنحت والرسم والموسيقى.

الأساطير والمعارف العلمية.

التصرفات الدينية :

الأشكال الطقوسية.

طقوس المرض.

طقوس الموت.

الأسرة والنظم الأجتماعية :

أشكال الزواج.

نظم التسلسل القرابي.

الميراث.

الضبط الأجتماعي.

الألعاب.

الملكية :

الملكية العقارية وملكية الأشكال المنقولة.

مستويات قيمة الأشياء والتبادل.

التجارة.

الحكومة :

الأشكال السياسية.

الإجراءات القانونية والقضائية.

الحرب ونظمها .

يعتبر تلك الأنماط أو التصنيفات للعناصر والمركبات الثقافية عن الجد الأدنى الذي لابد من توافره من كل ثقافة مهما، انخفض مستواها الثقافي أو ارتفع.

الثقافة متغيرة ومتصلة :

تتغير ثقافات المجتمعات من وقت لآخر، ولكن تختلف درجة وأسلوب وفحوى التغير من ثقافة لأخرى. فقد يسير التغير ببطء شديد وذلك لعزلة المجتمع وصغيره وجمود تقاليده، ويتضح ذلك في المجتمعات البدائية. وهناك المجتمعات الصناعية التي تتغير بسرعة كبيرة وذلك لتوفر الحوافز للاختراع وبقوة التفاعل

الاجتماعي، وبالتالي يشتد الاحتكاك العقلي مما يساعد على ظهور أفكار جديدة باستمرار، ويصبح التغير الصفة الغالية على الكثير من مضمون النظم الثقافية. ويوجد نوع ثالث من الثقافات التي تتغير بمعدل معتدل ويتضح ذلك في الثقافات الزراعية في أفريقيا وأسيا وأوروبا .

والثقافة في تغييرها لا تتمثل في حلقة منفصلة الأجراء، وإنما يتم هذا التغير في التراث الثقافي المتصل الأجزاء. فالتراث الثقافي كل مترابط ومتصل على مر الزمان في المجمع الواحد، وينتقل من جيل إلى جيل عن طريق التعلم المقصود أو غير المقصود. ويتراكم ذلك التراث بمرور الزمن، ويحافظ كل جيل على التراث الثقافي الموروث من آبائهم .

تستمر الثقافات مئات بل آلاف السنين، وتتغير عبر تلك السنوات، وكذلك تتغير الأجيال التي تضعها والتي تحملها. ولكن الثقافات قد تموت وتندثر بسبب :

انقراض المجمع الذي يحملها .

عن طريق الغزو والحروب.

اندماج المجتمع في مجتمع أكبر وظهور ثقافة جديدة.

عندما تتغير الثقافة إلى ثقافة جديدة تماماً .

تاريخ ومدارس الأنثروبولجيا الثقافية:

كيف ظهرت الأنثروبولوجية الثقافية:

من المفيد أن نشير أن الأنثروبولوجية الثقافية تعني الثقافة بحد ذاتها culture وقد اشرنا إلى مفهوم الثقافة وحددنا أشهر هذه المفاهيم والذي قاله له الباحث الانجليزي تايلور، والذي أكد فيه بأن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات وأي عادات وقدرات يكتسبها الإنسان بصفة عضو في المجتمع .

المدارس والنظريات وروادها الأوائل التي طرحت موضوع الأنثروبولوجيا الثقافية هم ينطوون تحت مدرسة علمية شهيرة تسمى بالمدرسة التطورية (evolutionist school) وأصحابها يدعون بالتطوريين (evolutionists).وأصحاب هذه المدرسة يركزون عملهم في البحث على نشأة المجتمع الإنساني وعن

الثقافة وكيف تطورت منذ القدم. وأن الفكرة التطورية في العلوم الاجتماعية، بما فيها الانثروبولوجيا الثقافية انشقت بتأثير نظرية داورن في النشوء والارتقاء أو التطور العضوي .

ومن خلال هذه المقدمة يمكن أن نستعرض بعض النظريات وتاريخ بعض المدارس في مجال الأنثروبولوجية الثقافية وفقاً لما يأتي :

الانطلاقة الأولى: (نظرية المنطقة الثقافية) 1900-1915م .

وهي الفترة التأسيسية للأنثروبولوجية الثقافية. وفي هذه الفترة ظهرت دراسات تفصيلية لمجتمعات صغيرة لتحديد عناصر وتاريخ وتطور ثقافاتها .

وكان التركيز في تلك الدراسات على سكان أمريكا الأصليين، (الهنود الحمر) لأن ثقافة تلك القبائل في هذه الفترة الزمنية، كانت في طريقها إلى الانقراض، مما حدا بالباحثين والدارسين والعلماء إلى الاندفاع لجمع وتسجيل تلك الثقافات. وكانت هناك العديد من الدراسات الأنثروبولوجية الميدانية، والتي تولدّ عنها كم هائل من المعلومات غير المنظمة، وغير المصنعة. وهي مشكلة كبيرة واجهها الباحثون والدارسون في هذا المجال. وخوفاً على تلك المعلومات من الضياع، ورغبة من الباحثين في تصنيف تلك المعلومات ووضعها في نطاقها العلمي توصل العلماء إلى مفهوم، أو إلى نظرية أنثروبولوجية جديدة، سميت "بالمنقطة الثقافية.(culture Area) "

المنطقة الثقافية مفهوم توصل إليه الباحث الأمريكي كلارك ويسلر .clark wissler ويعتبر هذه المفهوم وسيلة جديدة الغرض منها :

تقسيم أو تصنيف ثقافات العالم إلى مجموعات ثقافية تتكون كل مجموعة من عدة ثقافات متشابهة، وأطلق ويسلر على كل مجموعة مصطلح (منطقة ثقافية) .

المنطقة الثقافية حسب مفهوم (أو نظرية) ويسلي هي إقليم أو منقطة في العالم تعيش عليها مجموعة من المجموعات الإنسانية ذات الثقافة المتشابهة.

وللوصول إلى تحديد تلك المنطقة الثقافية لابد من دراسة ثقافات مجتمعات منطقة محددة بشيء من التفصيل وذلك :

لتحديد عناصر تلك الثقافات .(culture Traits)

وتحديد مدى انتشار تلك العناصر في المنطقة الثقافية .

من أمثلة تلك العناصر .

الوسائل المستخدمة في الحصول على الطعام وطرق طهيه.

الأدوات المستخدمة في الصيد وفي الطهي وفي الزينة.

المواد المستخدمة في بناء المنازل، وأساليب البناء .

النظم الاجتماعية، كنظام القرابة، ونظام الزواج ونظام تربية الأبناء، والنظام الديني، والنظام السياسي...إلخ .

وقد شبه العلامة ويسلر، لشرح نظريته المنطقة الثقافية وكأنها دائرة: مركزها يمثل:

مركز الثقافةcuhur center ،

وهو المكان أن المجتمع الذي تتركز فيه معظم العناصر الثقافية المنتشرة في المنطقة الثقافية، أو المكان الذي يوجد فيه أكبر تكرار للعناصر الثقافية النمطية .(Typical Traits)

هامش الثقافة :culture margin

وهي جزء من المنطقة الثقافية لكنها تبعد عن مركز الثقافة وتقل فيه عناصر المنطقة الثقافية بسبب اختلاط تلك العناصر بعناصر ثقافية أخرى .

المنطقة الزمنية :Age-Area

هذا المصطلح ظهر من خلال محاولة بناء مصطلح جديد يحل محل مصطلح المنطقة الثقافية. وبني هذا المفهوم على أساس أن عمر العنصر الثقافي في مكانه الذي ظهر فيه أطول من عمره في الأماكن الأخرى التي انتشر فيها. ولكن هذا المبدأ لم ينتج مثل مبدأ المنطقة الثقافية كثير من المشاكل والعقبات .

نقد نظرية المنطقة الثقافية :

لم تسلم هذه النظرية من النقد :

عدم وضوح طريقة التطبيق :

الثقافة متنوعة، ويتطلب كل نوع طريقة محددة لدراستها، وهذه النظرية لم تطرح أسلوب محدد يمكن به دراسة الثقافة بغض النظر عن تنوعها. فمثلاً هل نعتبر الزراعة عنصر ثقافي بسيط (simple trait) أم عنصر ثقافي مركب(complex trait) ، ويتكون من عدة عناصر ثقافية بسيطة .

صعوبة تحديد خطوط دقيقة تفصل بين منطقة وأخرى. المناطق الثقافية متداخلة في الإقليم الواحد .

قد يفهم من نظرية "المنطقة الثقافية" أن هناك علاقات ترابطية (correlation) بين البيئات الجغرافية والثقافات التي توجد فيها. غير أن الدراسات الميدانية أثبتت عدم عمومية هذه العلاقة إذا قد يعيش الأنسان في البيئات الجغرافية المتشابهة بطرق معيشة تختلف تماماً عن بعضها، بحيث نجد ثقافات مختلفة تماماً في بيئات جغرافية متشابهة وقد نجد ثقافات متشابهة في بيئات جغرافية مختلفة .

يجب التفريق بين انتشار العنصر الثقافي المادي والعنصر الثقافي المعنوي مثل الأفكار. فقد تنتشر الفكرة الواحدة من مجتمع لآخر وكلن قد يعبر عنها في المكان الجديد بصورة مختلفة تماماً عما كانت عليها في المكان الأول ومن هنا تظهر مشكلة صعوبة تقصي انتشار الأفكار من مكان إلى آخر لأنها تتخذ صورة جديدة مختلفة تماماً عن أصولها .

الانطلاقة الثانية: 1915-1930م.

فترة ازدهار الانثروبولوجيا الثقافية:

النظرية الانتشارية :Diffusion theory

وهي فترة نضوج هذا العلم ووضوح مفاهيمه ومناهجه وقد تركزت معظم دراسات هذا العلم في أمريكا، ومعظم باحثيه وعلمائه من الأمريكيين. تميزت هذه الفترة بأمور منها :

كثرة الأبحاث والمناقشات في الأنثروبولوجيا الثقافية .

بروز بوادر نضوج العلم ووضوح مفاهيمه ومناهجه.

تركزت دراسات هذا العلم في أمريكا وأصبح معظم علمائه من الأمريكيين.

أنشأ الباحث الأمريكي "بواز" ما أطلق عليه "بالمدرسة التاريخية ."

وظهر في هذه الفترة وبواسطة أبحاث "بواز" مفهوم جديد، هو مفهوم "المنطقة الثقافية" وهذا المفهوم يدفع التحليل وتفسير المعطيات الثقافية .(cultural Data) وهذا المفهوم يعني محاولة الوصول إلى معلومات وصفية عن الثقافة من خلال التاريخ، ومن خلال معرفة كيف تكونت الثقافة، وكيف تطورت .

ومن أشهر شخصيات هذه المدرسة التاريخية هو العالم الأمريكي سابير أدوارد .(sapir E:) أصدر هذا العالم بحثه الشهير: "المنظور الزمني للثقافة الأمريكيه في مبناها الأساسي" والذي أصدره في سنة 1916م .

وقد أكد سابير بأن الأنثروبولوجيا الثقافية تسير "بسرعة نحو اتخاذ صورة على التاريخ، إذ لا يمكن فهم ما تتضمنه من معلومات، سواء في ذاته أو في علاقاتها مع بعضها وإلا على أنها فقط نهاية لحوادث معينة متتابعة ترجع إلى ماضي بعيد". وهذا يعني أن فهم العناصر التي تتكون منها الثقافات لابد أن يحدث من خلال التاريخ. أي لا يمكن فهم الحاضر إلا بالرجوع إلى الماضي .

قام باحثون كثر في هذه الفترة بدراسات إقليمية تطبق فيها عمليات تحليل لعناصر الثقافة في حدود فترات زمنية معينة .

ومن أشهر الباحثين في هذا المجال هو الأمريكي "ويسلر .(Wissler) "وقد توصل إلى مفهوم أنثروبولوجي جديد سماه "مبدأ الانتشار .(Diffusion) "وهو يتعلق بأنتشار العناصر الثقافية من مجتمع لآخر. وأكد في بحثه على العوامل المؤثرة في "المنطقة الثقافية". وعنده أن تلك العوامل هي عبارة عن نتاج التفاعل بين مركز الثقافة والبيئة الجغرافية المؤثرة .

وتأكد مبدأ الانتشار هذا من خلال الباحث الإنجليزي "اليوت سميث .(Elliot Smith) "فقد وجد أن هناك تشابهاً واضحاً بين آثار الثقافة المصرية القديمة مع آثار ثقافية آخر من العالم واستنتج أن هناك عناصر ثقافية مصرية قد انتشرت إلى جميع أجزاء العالم عن طريق العلاقات التجارية التي كانت تربط بين المصريين القدماء وغيهم من شعوب العالم .

والمدرسة الانتشارية هذه ظهر لها فرع مهم في ألمانيا. وركز هذا الفرع على دراسة تاريخ ثقافات العالم. وهم طرحوا مفهوم جديد تفكرهم سموه "المنهج التاريخي في دراسة الثقافات" ومن أشهر الباحثين في ذلك: الباحث الألماني "جرابنر .(Graebner) "كان هذا الباحث يحدد مجموعة من العناصر الأساسية للثقافة ويبدأ في دراستها وفحصها تاريخياً في ضوء الإطار الإقليمي أو الجغرافي .

والعناصر الثقافية الأساسية التي اهتم بها هذا الباحث هي تلك العناصر التي يتكون منها النمو الثقافي العالمي. وما سماه "التكوين الثقافي .(Cnhure complex) "أو التركيبة الثقافية وتتكون من :

العناصر الثقافية البسيطة .culture traits

ومن الدائرة الثقافية culture cercle ، وهي أقرب ما تكون إلى "المنطقة الثقافية ."

من الطبقة الثقافيةCulture Stratum ، وهو يعني بذل مرحلة محددة من مراحل التطور الثقافي .

الانطلاقة الثانية: 1930-1940م

الفترة التوسعية للأنثروبولوجيا الثقافية :

مفهوم قمة الثقافة، والنظرية التناسقية التكاملية :

هذه الفترة اختصت بالأمر التالية :

تعرضت المدرسة التاريخية والمدرسة الانتشارية للنقد الشديد داخل أمريكا وخارجها من قبل علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية .

اعترفت الجامعات الأمريكية والأوروبية بالأنثروبولوجيا الثقافية وأصبحت جزءاً من أقسام علم الاجتماع .

تقدم علم الآثار (Archeology) وأصبح له مناهج ومقاييس، تتعلق بتاريخ الآثار وتتعلق بالعناصر الثقافية. استخدمت تلك العناصر والمقاييس لنقد نتائج المدرسة الانتشارية التي بنيت فقط على التحليل التوزيعي للعناصر الثقافية .

ازدهرت دراسات الأنثروبولوجيا الاجتماعية، بفضل بعض الأوروبيين مثل مالينوسكي (Malinowski) وراد كليف – براون .(Radcliffe - Brown)

أحدثت دراسات الأنثروبولوجيا الاجتماعية أثراً كبير على التفكير الأمريكي في هذا المجال. فبدأت تتغير مفاهيم ومناهج الأنثروبولوجيا الثقافية. فأعيد النظر في قضية العلاقة بين المناطق الثقافية والمناطق الجغرافية الطبيعية .

ظهر مفهوم جديد هو "قمة الثقافة .(culture climax) "طرحه الباحث(krober) ، وهو يعني النقطة أو المكان الذي يمثل أقصى تركيز أو تمثيل لثقافة معينة. فمثلاً: تمتد الثقافة العربية من المحيط الأطلسي غرباً إلى الخليج العربي شرقاً، وتشمل شعوباً متعددة. فأي هذه الشعوب يتضمن أقصى درجة من عناصر الثقافة العربية وبمفهوم "قمة الثقافة" ألغي مفهوم (مركز الثقافة) التي قال به ويسلر .

ظهرت في هذه الفترة "النظرية التناسقية التكمالية .(configurationalism) "وهي نظرية تركز على النفس وحدهم. وأول من عهد لهذه النظرية هو الباحث الأمريكي أدوارد سابير .(E. Sapir) وأكد على مفهوم الرمزية (symbolism) في السلوك الأنساني. فكل سلوك ثقافي هو عبارة عن سلوك رمزي. أي أنه قائم على "معاني" مشتركه ومتبادلة بين أفراد المجتمع. فالثقافة ليست حقيقة موضوعية مستقلة عن

شعور وعقول الأفراد بل هي مجموعة من أنماط سلوكية يتفق عليها ويمارسها معظم أفراد المجتمع. وهو بذلك يؤكد على أن جوهر الثقافة هو تفاعل الأفراد مع بعضهم، وما يترتب على ذلك التفاعل من معاني ومشاعر مشتركة. وهذا هو مفهوم الرمزية. ومن هنا يمكن أن نستنتج أن هذه النظرية تهتم بالسلوك والأعمال، وتهم بالأفكار والعواطف والقيم والأهداف عند دراسة الثقافة .

نتيجة لذلك النوع من التفكير ظهرت دراسات جديدة تسمى بدراسات الأنثروبولوجيا النفسية . (Psychological Anthropology)من خلال هذه الدراسات، تبلورت نظرية جديدة تتعلق بعملية التطور الثقافي. تسمي هذه النظرية بنظرية (ثبات الأستمرار من الوضع البدائي، إلى الوضع الحضاري Folk) .(urban continum –فكل ثقافة لابد أن تنطلق من ثقافة بدائية بسيطة لعشيرة أو القبيلة أو لقرية صغيرة فأي ثقافة معقدة تنطلق من نقطة أو بداية بسيطة وبدائية. ويبدأ خط التطور من هذه البداية، ومن خلال المجتمع البدائي الذي يسميه الباحث الأمريكي ريد فيلد .(Folk - Society) (Red Field) وخط التطور هذا ينتهي ببناء مجتمع المدينة المعقد الذي يسميه ريد فليد .(urban - socikty) وبين نقطة البداية والنهاية مراحل تطورية متعددة تمثل مجتمعات أخرى. ويحدد ردفيلد خصائص المجتمع البدائي الذي يكوّن نقطة البداية للثقافة، فهو :

البساطة في نظام الحياة.

عدم معرفة القراءة والكتابة .

الانعزال، المجتمع كله منعزل.

التشابه في سلوك الأفراد .(Homogeneity)

وصغر الحجم، من حيث البناء الجسمي.

قوة التماسك بين الأفراد.

كما يجد خصائص مجتمع المدينة المعقد الذي يمثل قمة الثقافة، والنقطة الأخيرة في ذلك الاستمرار التطوري بما يلي :

كبر الحجم من حيث البناء الجسمي.

اختلاف سلوك الأفراد .(Heterogeneity)

التفكك الاجتماعي.

سيادة القانون والنظام.

تقدم العلوم .

ضعف الروابط الاجتماعية.

سيادة الروح الفردية.

الاتجاه نحو المظاهر والماديات .(secularization)

ويبين النموذجين مجتمعات متعددة تمثل خط التطور الثقافي سمي بالعملية الاستمرارية .(continuum) فالمجتمع يدرس ثقافياً دراسة ميدانية لتعريف خصائص ثقافته، ومن ثم يوضع في موقعه بين نقطتي البساطة (البداية). ونقطة قمة الثقافة (النهاية).

الانطلاقة الرابعة والأخيرة :

-1940الوقت الحالي :

هذه الفترة اختصت بالأمور التالية :

ظهور اتجاهات جديد في الأنثروبولوجيا الثقافية.

انتشرت الأنثروبولوجيا الثقافية، لست فقط في الجامعات الأمريكية والأوروبية بل في جامعات المجتمعات النامية.

ركزت الجامعات الأفريقية على ما يسمى بالأنثروبولوجيه الاجتماعية، وذلك لارتباطها بالجامعات البريطانية التي لا تعترف إلا بالانثروبولوجيا الاجتماعية .

وأهم ملامح دراسات الأنثروبولوجيا الثقافية في هذه المرحلة ما يلي :

ظهور دراسات على المستوى القومي: وهو اتجاه حديث، حيث انتشرت دراسات تهتم بالمجتمعات الحديثة الكبيرة بغرض تحديد خصائص ثقافتها على المستوى القومي. فظهرت أبحاث تتعلق بخصائص الثقافة الأمريكية أو الألمانية أو اليابانية أو الصينية. ومما حفز مثل هذه الدراسات هي الحرب العالمية الثانية .

ظهور الاتجاه بعدم الاقتصار في دراسة الثقافة فقط، على المجتمعات البدائية أو شبه البدائية، بل درست ثقافات المجتمعات المتمدنية كالصين والهند وجنوب شرق آسيا. ومن أمثلة تلك الدراسات ما أطلق عليه

"دراسات حالة في الأنثروبولوجية الثقافية .(case studies in cultural Anthropology) وقد نظمت هذه الدراسات من قبل أساتذة جامعة ستنانفورد الأمريكية .

ظهور الاتجاه التخصصي: وهو يعني بتخصص بعض الباحثين في دراسة منطقة ثقافية محددة أو في دراسة ثقافة معينة، أو في خصائص ومبادئ الأنثروبولوجيا الثقافية، مثل المنهج وطرق البحث أو تسجيل تاريخ هذا العلم. بعد ظهور الاتجاه التخصصي اتضحت الفروق بين الأنثروبولوجيا الثقافية، والأنثروبولوجيا الاجتماعية .

ظهور اتجاه زيادة التعاون والتبادل على مستوى الأساتذة وطلبة الدراسات العليا المتخصصين في الأنثروبولوجيا بفرعيها الثقافي والاجتماعي .

أقامت في هذا المجال بعض الجامعات الأمريكية والبريطانية محطات للدراسات الحقلية للأنثروبولوجيا بأفريقيا وآسيا. وبدأت بعض المؤسسات تشجع وتحول أبحاث الأنثروبولوجيا الحضارية مما أدى إلى ازدهار تلك الأبحاث تستخلص من كل ما سبق ما يلي :

تهتم الأنثروبولوجيا الثقافية بدراسة الثقافات وخاصة الثقافات البسيطة شبه البدائية.

أهم مدارس الأنثروبولوجيا الثقافية :

مدرسة التطور الثقافي.

المدرسة التاريخية .

المدرسة الانتشارية.

المدرسة التناسفيه .

تعد أمريكا المركز الرئيسي للأنثروبولوجيا الثقافية على دراسات :

الأثنوغرافيا Ethnography يهتم بدراسة ثقافة معينة بالذات، تهتم بالوصف أكثر من التحليل لثقافة واحدة بذاتها .

الأثنولوجيا :(Ethnology) تهتم بالدراسات المقارنة للثقافات المختلفة للوصول إلى نظرية ثقافية عامة. كما تهتم بالتحليل والمقارنة بين عدة ثقافات.